أسلوب القسم في القرآن الكريم

حقائق ، شبهات ، وردود

إعـداد

د/ شعبان محمد عطية علي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين بالقاهرة

shabanmhammed٣٢@gmail.comh

الملخص:

إن القرآن العظيم هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهو الكنز الزاخر ، والبحر الوافر ، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد ، أنزله ربنا بلسان عربي مبين ، في أعلى درجات الفصاحة ، وأسمى آيات البيان ، وأرفع منازل البلاغة ، تحدى الله به أئمة اللغة ، وأساطين البيان ، على مر العصور والأزمان ، تحداهم أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة فعجزوا، ومن الحقائق الثابتة أن اللغة العربية التي هي لغة القرآن تعد أهم وسيلة من وسائل التَواصُل بين بني العرب ، وهي لغة متنوعة الأساليب ، متعددة الأفانين ،ومن أبرز أساليبها أسلوب القسم الذي تميز به الذكر الحكيم نظرا لكونه طريقا من أبلغ طرق توكيد الكلام ، وإبراز روعته ، وإظهار بلاغته ، وجمال مقاصده على النحو الذي يريده المتكلِّم، من دفع إنكار المنكرين ، أو إزالة شك الشاكِّين، و جاءت هذه الدراسة رغبة مني في أن أنال شيئا من شرف المساهمة في الكشف عن جمال أسلوب من أهم أساليب القرآن الكريم، وأيضا محاولة مني في حل بعض الإشكاليات المتعلقة بهذا الموضوع، مثل الكلام عن وجه الحاجة إلى القسم منه سبحانه ، وهو الغني عن ذلك ، ولماذا أقسم الله ببعض مخلوقاته مع أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد نهى عن ذلك، إلى غير ذلك من المسائل، ونتج من الدراسة أن القسم أسلوب بليغ من أعظم أساليب القرآن بلاغة ، وروعة وبيان، وأن القسم في القرآن له أهداف ومقاصد كلفت الأنظار إلى عظمة المخلوقات توصلا إلى عظمة من خلقها، وقد يكون الغرض من القسم بث الهيبة والرهبة في نفوس المخاطبين، ومن البحث أيضا يتبين لنا ضرورة الاهتمام بدراسة مزيد من أساليب القرآن،

ويوصي البحث بمواصلة دراسة مثل هذه الموضوعات؛ لأن هذه الدراسات اللغوية ذات الصلة الوثيقة بالقرآن لها دور عظيم في الرد على المستشرقين وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: القسم، الحلف، شبهات، القران الكريم

Abstract:

The Great Qur'an is the eternal Book of God, to whom falsehood does not come from before it or behind it, a revelation from the Wise, Praised, and it is the abundant treasure, and the abundant sea, whose wonders do not end, nor is it created by the abundance of reply, revealed by our Lord in a clear Arabic tongue, in the highest levels of eloquence. And the highest verses of the statement, and the highest levels of rhetoric, God challenged with it the imams of the language, and the masters of the statement, throughout the ages and times. The Arabs, a language of various styles, Its methods are multiple, and one of its most prominent methods is the swearing style that is distinguished by the Holy Qur'an due to its being one of the most eloquent ways of emphasizing speech, highlighting its splendor, showing its eloquence, and the beauty of its intentions as desired by the speaker, from repelling the denial of the deniers, or removing doubts from the complainants, and this study came It is my desire to obtain something of the honor of participating in revealing the beauty of one of the most important methods of the Holy Qur'an, and also an attempt by me to solve some of the problems related to this subject, such as speaking about the need to swear by Him, Glory be to Him, who is

beyond need, And why did God swear by some of his creatures even though the Messenger of God – may God's prayers and peace be upon him – forbade that, to other issues, and it emerged from the study that the oath is an eloquent method of the greatest eloquence, splendor and eloquence of the Qur'an, and that swearing in the Qur'an has goals and objectives that were commissioned Attention to the greatness of creatures reached the greatness of their creation, and the purpose of the oath may be to spread awe and fear in the hearts of the addressees, and from the research also it becomes clear to us the need to pay attention to studying more methods of the Qur'an, and the research recommends continuing the study of such topics; Because these linguistic studies closely related to the Qur'an have a great role in responding to orientalists and others.

Keywords: oath, oath, suspicions, the Noble Qur'an

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن القرآن العظيم هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهو الكنز الزاخر ، والبحر الوافر ، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد ، أنزله ربنا بلسان عربي مبين ، في أعلى درجات الفصاحة ، وأسمى آيات البيان ، وأرفع منازل البلاغة ، تحدى الله به أئمة اللغة ، وأساطين البيان ، على مر العصور والأزمان ، تحداهم أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة فعجزوا، قال تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ....)[1].

وبما أن اللغة العربية التي هي لغة القرآن تعد أهم وسيلة من وسائل التَواصُل بين بني العرب ، وهي لغة متنوعة الأساليب ، متعددة الأفانين ،وكان القسم أحد أساليبها ، والذي تميز به الذكر الحكيم نظرا لكونه طريقا من أبلغ طرق توكيد الكلام ، وإبراز روعته ، وإظهار بلاغته ، وجمال مقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، من دفع إنكار المنكرين ، أو إزالة شك الشاكين ، لذا جاءت هذه الدراسة (أسلوب القسم في القرآن) رغبة مني في أن أنال شيئا

[1] – سورة البقرة آية : ٢٣ ، ٢٤

من شرف المساهمة في الكشف عن جمال أسلوب من أهم أساليب القرآن الكريم ، وأيضا محاولة مني في حل بعض الإشكاليات المتعلقة بهذا الموضوع ، مثل الكلام عن وجه الحاجة إلى القسم منه سبحانه ، وهو الغني عن ذلك ، ولماذا أقسم الله ببعض مخلوقاته مع أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد نهى عن ذلك ، إلى غير ذلك من المسائل التي ستتضح من خلال البحث ، هذا ، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

أما المقدمة ، فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومشكلة البحث ،وأما المطلب الأول فقد اشتمل على :

- تعريف القسم.
- الفرق بين القسم والحلف.
- أركان القسم.
- الركن الأول : – المقْسِم .
- الركن الثاني : المقْسَم به
- القسم بالمخلوقات
- الركن الثالث : جواب القسم.
- جملة جواب القسم.
- الركن الرابع : أدوات القسم.

وأما المطلب الثاني فقد اشتمل على :

- القضايا التي ورد القسم عليها.
- القسم المبدوء ب(لا) والفعل.
- أنواع القسم.
- القسم والشرط.

- ما يجري مجرى القسم.
- بلاغة القسم – بلاغة القسم القرآني.

المطلب الثالث : شبهات وردود حول القسم

- أما الخاتمة فقد تناولت فيها أهم النتائج والمقترحات
- ثم المراجع والفهارس

المطلب الأول

وقد اشتمل على :

- تعريف القسم.
- الفرق بين القسم والحلف.
- أركان القسم.
- الركن الأول : – المقْسِم .
- الركن الثاني : المقْسَم به
- القسم بالمخلوقات
- الركن الثالث : جواب القسم.
- جملة جواب القسم.

تعريف القسم

وردت مادة (قسم) في لغة العرب[1] (ق، س ، م) : بمعان ثلاثة هي :

[1] – استفدت المعاني اللغوية للقسم من لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٤٨١ ، وما بعدها فصل القاف بتصرف طبعة دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ وتهذيب اللغة للأزهري ٨ / ٣٢٠ ،دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم : د. محمد حسن جبل مادة قسم ٤/ ١٧٨٥، وما بعدها بتصرف مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

الأول : القَسَمُ – بفتح القاف والسين – بمعنى : الحلف واليمين ، وجمعه أقسام، مثل : سبب وأسباب ، يقال : أَقْسَمَ بِاللَّهِ , أي : حلف به وقاسمه : أقسم له، أو شاركه في القسم . ومنه قوله تعالى : (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)[1] واقتسموا : تحالفوا ، ومنه قوله تعالى : (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ)[2]، وهم الذين تقاسموا وتحالفوا على الكيد للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وقيل : هم الذين جعلوا القرآن عضين ، آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه الآخر . وتقاسم القوم، أي : تحالفوا، ومنه قوله تعالى – (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ.....)[3]، أي : تحالفوا ، أو طلب بعضهم القسم من بعض . والقسامة : ومن معانيها : اليمين، والجماعة يقسمون على حقهم ويأخذونه ، والقسم بمعنى اليمين ، أصله من القسامة ، وهي أيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا على رجل أنه قتل صاحبهم ، ومعهم دليل دون البينة ، فيحلفون خمسين يمينا تقسم عليهم، ثم صار اسما لكل حلف ، فكأنه (أي :القسم) كان في الأصل تقسيم أيمان، ثم صار يستعمل في نفس الحلف والأيمان.

الثاني: التجزئة ، والتفريق ، والنصيب ، وهو – القسم – بسكون السين ، وجمعه أقسام ، يقال : قسم الشيء يقسه قسما : بمعنى : جزأه وفرقه ،

معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل مادة قسم ٣/ ١٨١٢ وما بعدها بتصرف ط عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

[1] – سورة الأعراف آية : ٢١

[2] – سورة الحجر آية : ٩٠

[3] – سورة النمل آية : ٤٩

وقاسم فلان فلانا أي : أخذ كل منهما نصيبه . واقتسم القوم المال ، أي : أخذ كل واحد منهم نصيبه منه . وقسمه – بالتضعيف – : للتكثير، أي جزأه ، ومنه قوله تعالى : (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)[1] .

الثالث : والقَسْمُ : القَدَرُ، والنظر. يقال : هو يقسم أمره ، أي : يقدره ، ويدبره، وينظر كيف يعمل فيه ، قال لبيد :

فقولاَ لَهُ إِن كَانَ يقسِمُ أمرَهُ.....ألَمَّا يَعِظْكَ الدهرُ أُمُّكَ هابِلُ[2]

قلت : العلاقة بين هذه المعاني واضحة ، ذلك أن القسم ما وضع إلا للتفريق بين الحق والباطل ، أو لتحديد الأنصبة ، أو النظر في الخصومات والفصل فيها .

ويلاحظ مما سبق أن للقسم ألفاظا ثلاثة هي القسم ، واليمين ، والحلف ، وأن القسم من القسامة كما سبق ، وأما الحلف فمأخوذ من المحالفة والتعاهد بين القوم ، ويؤكد بالأيمان بعد تمام العهد ، وأما تسمية اليمين بذلك فيرجع إلى أن المتعاهدين أو المتحالفين كانوا عند تأكيد ذلك بالحلف يضع كل منهم يمينه في يمين الآخر فسمي بذلك على سبيل المجاز.

جاء في مختار الصحاح : واليمين : القسم ، والجمع : أيمن ، وأيمان ، وقيل : إنما سميت بذلك ، لأنهم كانوا إذا تحالفوا ، ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه[3].

---

[1] – سورة الذاريات آية : ٤

[2] – البيت في ديوان لبيد ص ١٣١ دار صادر بدون تاريخ. وهابل: أي ثكلى.

[3] – مختار الصحاح لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ص ٣٥٠ ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

وقال أبو إسحق النجيرمي[1] : وأصل اليمين أنهم كانوا إذا تحالفوا وتعاقدوا تصافقوا بأيمانهم ، ولذلك قيل : أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر ، ثم سموا الحلف يمينا على هذا المعنى . وأنثوا اليمين على تأنيث اليد ، فقالوا : حلف يمينا برة ويمينا فاجرة[2].

تعريف القسم اصطلاحا:

ويعرف القسم بأنه ربط النفس– بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه– بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادا[3].

ومعنى قولهم : ربط النفس: حملها على فعل الشيء ،أو تركه من خلال تقييدها بالقسم

وجاء التعبير بقولهم : بمعنى معظم عند الحالف حقيقة ، أو اعتقادا حتى يشمل كل ما يمكن القسم به من ناحية الوضع ، بغض النظر عن حكم ذلك شرعا.

---

[1] – هو إبراهيم بن عبد الله النجيرمي ، والنجيرمي: بفتح النون والراء وكسر الجيم إلى نجيرم محلة بالبصرة. من علماء العربية والأدب والتاريخ صاحب كتاب أيمان العرب تولى منصب الكتابة زمن كافور الإخشيدي ولم يذكر المؤرخون لوفاته تاريخا. وذكره ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٢٧٤. طبعة دار صادر، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م

[2] – أيمان العرب في الجاهلية لأبي أسحاق النجيرمي ص ٢٩ تحقيق محب الدين الخطيب – المكتبة السلفية ١٩٦٢

[3] – الواضح في علوم القرآن لمصطفى ديب البغا، ص : ٢٠٧ دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق
الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

الفرق بين القسم والحلف:

يرى كثير من العلماء أنه لا فرق بين بين القسم والحلف ، ويرون أنهما بمعنى واحد ،والتحقيق أن بينهما فرقا من وجوه :

الأول : أن القسم لتعظيم الشيء وتزكيته، ورفع قدره، وأما الحلف فهو إقرار يشهد به الإنسان على نفسه، أو غيره. وقد جعل الله كفيلا عليه، بالحلف به.. ومن هنا كان لزاما عليه– ديانة– أن يحترم هذه الكفالة، ويقوم على الوفاء بما التزم به، وإلا أثم، بجرأته على الله، والاستخفاف بكفالته له[1]، والله تعالى يقول: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ»[2]

الثاني : أن القسم أبلغ من الحلف ، لأنه يتضمن معنى الحلف وزيادة، ذلك لأن معنى قولنا : أقسم بالله ، أنه صار ذا قسم بالله ، والقسم : النصيب، والمراد : أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ، ودفع عنه الخصم بالله ، والحلف من قولك : سيف حليف ، أي قاطع ، ماض ، فإذا قلت : حلف بالله ، فكأنك قلت : قطع المخاصمة بالله ، فالأول أبلغ ، لأنه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم ، ففيه معنيان ، وقولنا : حلف يفيد معنى واحدا ، وهو قطع المخاصمة فقط ، وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في

[1] – التفسير القرآني للقرآن للأستاذ /عبد الكريم الخطيب ١٣/٤ دار الفكر العربي – القاهرة

[2] – سورة النحل ، آية : ٩١

الظاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه ، وليس كل من دفع الخصومة في الشيء فقد أحرزه[١] .

الثالث : أن الحلف يدور معناه حول الاحتمال والشك ، والتردد ، ومن هنا يكون الحالف في أكثر الأحيان معرضا للحنث كثيرا ، لأنه حلف على الظن ، وليس عن يقين ، والناظر في آي الذكر الحكيم يلاحظ أن مادة الحلف قد وردت في مواضع ، كلها جاءت بغير استثناء ، وفي مقام الحنث باليمين ، وفي آيات مدنية ، وخصوصا في سورة التوبة ، عدا آية واحدة مكية ، هي قوله تعالى في سورة القلم : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)[٢] ، ثم إن إسناد الفعل غالبا جاء في المنافقين . وحين أسند الفعل إلى المؤمنين في قوله تعالى : – (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ.....)[٣] ، كان ذلك لبيان كفارة الحلف عند الحنث . وبالنظر في آيات الحلف المسندة للمنافقين ، والتي كشفت حقيقتهم وفضحت زيفهم ، نرى أن اليمين فيها كانت معقودة أصلا وابتداء على خلاف الحقيقة والواقع في أغلب الآيات ، وهم يعلمون ذلك ، وأن الأمر كذب.

أما القسم فقد ورد التعبير به في مقام الصدق ، وفي مقام الكذب ، ففي مقام الصدق يقول سبحانه : (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)[٤] ، وفي مقام الكذب ، فكما حكى

---

[١] – الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٦ طبعة دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر بدون تاريخ.

[٢] – سورة القلم آية : ١٠

[٣] – سورة المائدة آية : ٨٩

[٤] – سورة المائدة آية : ١٠٧

القرآن عنهم في قوله سبحانه : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا)[1] ، وإذا كان الأمر كذلك إلا أن ورود القسم في مقام الصدق أكثر[2] ، يقول صاحب القاموس:

والقسم : العطاء والرأي .. وأن يقع في قلبك الشيء فتظنه ، ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة[3].

قلت : الملاحظ من هذا أن القسم أقوى في الظن ، وأبعد عن الاحتمال والشك ، كما هو الشأن في الحلف . ولذلك فقد جاء القسم موصوفا بالعظمة في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[4] .

أركان القسم:

للقسم أركان أربعة

الركن الأول : المقْسِم .

الركن الثاني : المقْسَم به

الركن الثالث : جواب القسم.

الركن الرابع : أدوات القسم

---

[1] – سورة فاطر آية : ٤٢

[2] – التفسير البياني للقرآن للأستاذة عائشة بنت الشاطئ ١/ ١٦٦ : ١٦٨ بتصرف ط دار المعارف – القاهرة الطبعة السابعة

[3] – القاموس المحيط للفيروزآبادي ١١٤٩، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

[4] – سورة الواقعة ، آية : ٧٦

الركن الأول : أعني المقْسِم

فإن الناظر في القرآن الكريم يلاحظ أنه أحد أربعة :

ألأول : الله ، كما في قوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[١].

الثاني : رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، أو غيره من الرسل ، قال تعالى : (قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ)[٢] ، وفي سورة الأنبياء على لسان أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – يقول تعالى : (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)[٣]

الثالث : غير الرسل من البشر : مؤمنين كانوا ، أو كافرين ، فمن قسم المؤمنين يقول تعالى :(قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ)[٤] ، وعلى لسان غير المؤمنين يقول سبحانه : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)[٥]

الرابع : من غير البشر ، كالذي ورد على لسان إبليس – لعنه الله – يقول تعالى : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)[٦]

الركن الثاني : المقْسَم به :

ولا يكون المقسم به إلا معظما ، والناظر في القرآن الكريم يجد أن المقسم به على أنواع:

الأول : أقسم الله سبحانه بذاته موصوفا بوصف الربوبية في مواضع ، منها:

---

١ – سورة الحجر ، آية : ٩٢

٢ – سورة يونس ، آية : ٥٣

٣ – سورة الأنبياء ، آية : ٥٧

٤ – سورة الصافات ، آية : ٥٦

٥ – سورة النحل ، آية : ٣٨

٦ – سورة ص ، الآيتان : ٨٢ ، ٨٣

– قوله سبحانه: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[١] ، وقوله عز وجل: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)[٢]، وقوله جل شأنه : (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[٣].

الثاني : أمر الله نبيه أن يقسم به في مواضع ثلاثة هي[٤]:

– قوله سبحانه: (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ....)[٥].

– قوله عز وجل: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ.....)[٦]

– قوله تعالى:(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ....)[٧]

الثالث : أقسم ربنا سبحانه بفعله ، كما في قوله سبحانه :(وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)[٨]، على أن "ما" في الآيات بمعنى "مَنْ " أي: والسماء وبانيها، والأرض وطاحيها، ونفس ومسويها، وهو قول مجاهد[٩] كما ذكر الإمام ابن كثير.

---

[١] – سورة الحجر ، آية : ٩٢

[٢] – سورة مريم ، آية : ٦٨

[٣] – سورة الذاريات ، آية : ٢٣

[٤] – دراسات في علوم القرآن لفضيلة الدكتور/ محمد بكر إسماعيل ص : ٣١٩، دار المنار الطبعة الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م ، مباحث في علوم القرآن للشيخ / مناع القطان ص : ٣٠٢ مكتبة المعارف الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

[٥] – سورة يونس ، آية :٥٣

[٦] – سورة سبإ ، آية : ٣

[٧] – سورة التغابن ، آية : ٧

[٨] – سورة الشمس ، الآيات من : ٥ : ٧

[٩] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري ٢٤ ٤٣٨ تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

"وقد أوثرت "ما" على "من" لإرادة الوصفية، أي: القادر الذي أبدع خلقها. ويحتمل أن تكون "ما" مصدرية بمعنى: والسماء وبنائها، والأرض وطحائها، ونفس وتسويتها، وهو قول قتادة[١]، وغيره.

الرابع : أقسم ربنا ببعض خلقه ، كما في قوله سبحانه : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)[٢]، وقوله سبحانه : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)[٣] ، وفي سورة الطور يقول ربنا سبحانه : (وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)[٤]

قلت : المتأمل في الآيات التي ورد فيها القسم بالمخلوقات يلاحظ :

الأول : – أنه قد يكون شيئا علويا بعيدا عنا يثير الرهبة والعظمة والجلال ، ويدعونا ذكره والقسم به ، إلى أن يثير لدينا الفضول العلمي ، وحب الاستطلاع ، فأخذ في توجيه أنظارنا إليه بالبحث والدرس والتحليل ، ومحاولة تسخيره لمنافعنا ، وذلك كالسماء، وما فيها من شمس ، وقمر ، ونجوم ، ومظاهر كونية كثيرة ، فالقسم بهذه الكائنات العلوية ، يدفع الناس إلى البحث والتنقيب ، ونصوص القرآن الدالة على النظر والبحث كثيرة[٥] ، منها قوله تعالى: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)[٦]

---

١ – نفس المرجع السابق والصفحة

٢ – سورة الصافات ، آية : ١

٣ – سورة الذاريات ، آية : ١

٤ – سورة الطور ، الآيتان ١ ، ٢

٥ – الكشف والبيان للدكتور سمير عبد العزيز شليوة ، ص ٢٩٣ . ، وتفسير سورة النجم للدكتور عبد ربه فرحات دراسة تحليلية ، موضوعية ، ص ٤٣–٤٤. وأسلوب القسم في القرآن للدكتور. سامي عطا حسن جامعة آل البيت – المفرق. المملكة الأردنية الهاشمية.

٦ – سورة يونس ، آية : ١٠١

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)[١] . وقد أثبت الواقع أنه كلما تعمق الباحثون في دراسة هذه الظواهر التي أقسم الله بها ، وجدوا فيها من العظمة والجلال ، والقدرة الإلهية ، ما تخر له النفوس ساجدة خاشعة ، قائلة : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[٢]

الثاني : – إن المقسم به قد يكون شيئا أرضيا مما يحيط بالإنسان ويتعايش به ومعه ، ويقسم الله تعالى به لما فيه من منافع وفوائد ، كالتين ، والزيتون ، والبحر المسجور ، والأرض وما طحاها

الثالث : – أن يكون المقسم به شيئا ذاتيا للإنسان ، وذلك كالنفس البشرية التي أقسم الله تعالى بها في قوله تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)[٣] ، وقوله تعالى: (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)[٤] . ولا شك أن القسم بهذه الأشياء يفتح للباحثين مجالا كبيرا في المباحث الفكرية، والنفسية ، والاجتماعية[٥].

---

[١] – سورة الأعراف ، آية : ١٨٥

[٢] – سورة آل عمران ، آية : ١٩١

[٣] – سورة الشمس ، آية ٦ ، ٧

[٤] – سورة القيامة ، آية : ٢

[٥] – الكشف والبيان للدكتور سمير عبد العزيز شليوة ، ص ٢٩٣ . ، مطبعة الفجر الجديد بدون تاريخ. وتفسير سورة النجم للدكتور عبد ربه فرحات دراسة تحليلية ، موضوعية ، ص ٤٣–٤٤. وأسلوب القسم في القرآن للدكتور. سامي عطا حسن

الركن الثالث : جواب القسم أو المقسم عليه

تبين لنا مما سبق أن الغرض من القسم تحقيق وتأكيد المقسم عليه، وأن الغالب في المقسم عليه أن يكون مذكورا في الكلام ، لأنه المقصود بالتحقيق ، كما في قوله تعالى في سورة النجم : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)[١] ، وفي سورة العصر يقول سبحانه : (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[٢] وهنا نؤكد على أنه قد يحذف كما يحذف جواب (لو)[٣] ، وفي هذا يقول ابن القيم :

وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة ، وهو الغالب ،وتارة يحذفه كما يحذف جواب لو كثيرا كقوله تعالى : (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)[٤] ، وقوله :(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ)[٥] ، ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام ، لأن المراد أنك لو رأيت ذلك لرأيت هولا عظيما ، فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل عليه الشرط ، وهذه عادة الناس في كلامهم إذا رأوا أمورا عجيبة ، وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها . يقول أحدهم : لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا[٦].

---

١ – سورة النجم ، آية : ١ ، ٢.

٢ – سورة العصر

٣ – الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ٥٧/٤. تحقيق الشيخ/ محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٤ – سورة التكاثر ، آية : ٥

٥ – سورة الأنعام ، آية : ٣٠

٦ – – فجواب لو محذوف ، تقديره : لو تعلمون علم اليقين عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به . وهذه عادة العرب في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبةً ، وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها.

وأكثر ما يحذف جواب القسم : إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه ، فإن المقصود يحصل بذكره (أي المقسم به)، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز ، كما في قوله تعالى في: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)[1] ، فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ، ووصفه بأنه ذو الشرف ، والقدر ، ما يدل على المقسم عليه ، وهو كونه حقا من عند الله غير مفترى ، وتقدير الجواب : إن الفرقان لحق . وهذا يطرد في كل ما شابه ذلك[2].

نوع الجملة في جواب القسم

الجملة في جواب القسم إما أن تكون جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى :(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ)[3] ، وإما على جملة طلبية كقوله تعالى (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[4] ، مع أن هذا قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر، وقد يراد به تحقيق القسم[5].

جملة جواب القسم.

جملة جواب القسم، أما أن تكون جملة اسمية، أو فعلية[6].

---

[1] – سورة ص ، آية ١

[2] – التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم ص ٣، ٤ تحقيق محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت، لبنان

[3] – سورة الذاريات ، آية : ٢٣

[4] – سورة الحجر ، آية :٩٢ ، ٩٣

[5] – الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ٤/٥٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م التبيان في أيمان القرآن لابن قيم الجوزية ٢/٥ دار عالم الفوائد – مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ

[6] – أفدت هذا الموضوع من كتاب معاني النحو للد. فاضل صالح السامرائي ٤/١٧٥، وما بعدها بتصرف. طبعة دار الفكر للطباعة بالأردن الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م . : وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل المصري ٤/٤٣ . وما بعدها بتصرف . تحقيق فضيلة الدكتور/محمد محيي الدين عبد الحميد

– فإن كانت جملة اسمية اقترنت في الإثبات باللام المفتوحة، قال تعالى : (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ..)[١]. ،أو (إن) وحدها مشددة أو مخففة .

وقال:(حم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)[٢] . وقال: (قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ)[٣] . أو (إن) واللام، قال تعالى: (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[٤].

– وإذا كان الجواب جملة فعلية، فعلها مضارع كان باللام المفتوحة مع النون، أو من دون نون، قال تعالى: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)[٥] ، وقال: (وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[٦].

وذلك أنه :

– إذا كانت جملة الجواب مصدرة بفعل مضارع، مثبت، مستقبل، غير مفصول عن لامه، بفاصل وجب التوكيد بالنون . وإن فقد شرط واحد من هذه الشروط امتنعت النون.

دار التراث – القاهرة، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ومن الإمام الزركشي في برهانه ٣٠٦/٤ ، وما بعدها بتصرف.

[١] – سورة المائدة ، الآية ١٠٧

[٢] – سورة الدخان ، آية : ١ – ٣

[٣] – سورة الصافات ، آية : ٥٦

[٤] – سورة الذاريات ، آية : ٢٣

[٥] – سورة الأنبياء ، آية : ٥٧

[٦] – سورة آل عمران ، آية : ١٥٨

– وإذا كانت الجملة منفية، امتنعت النون، قال تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)[1] ، وقال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)[2]

– وإذا كان جواب القسم فعلا ماضيا مثبتا لم يتقدم مفعوله عليه ، فالواجب في هذه الحالة دخول اللام ، وقد عليه ، قال تعالى : (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ.....)[3] ، إلا إذا طال الكلام فيجوز الاقتصار على إحداهما ، قال تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)[4] ، فجواب القسم: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) حذفت من اللام لطول الكلام. ولذلك قالوا في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)[5] : إن الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب؛ لأن القصد التنبيه على المقسم به، وأنه من آيات الرب العظيمة، وقيل: الجواب محذوف دل عليه: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) أي إنهم ملعونون، يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: حذف صدره، وتقديره: لقد قتل؛ لأن الفعل الماضي إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام و(قد)، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام، كما سبق .

---

[1] – سورة النحل ، آية : ٣٨

[2] – سورة النساء ، آية : ٦٥.

[3] – سورة النحل ، آية : ٥٣

[4] – سورة الشمس ، الآيات ١ : ٩

[5] – سورة البروج ، الآيات من١إلى ٤

الركن الرابع : حروف القسم

حروف القسم ثلاثة هي : (الباء ، والواو ، والتاء) ، قال سيبويه :(وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به. ثم التاء، ولا تدخل إلا في واحد ، وذلك قولك: والله لأفعلن: وبالله لأفعلن، (وتالله لأكيدنَّ أصنامكم)[1]

أولها : الباء : وهي الأصل في أدوات القسم .

يقول ابن هشام : الباء أصل حروف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو[2] ، ومما يؤيد أن الباء أصل حروف القسم :

١ – أنها لا يجب حذف الفعل معها، بل يجوز إظهاره. ، كقوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ[3]) . الآية.

٢ – أنها تدخل على المضمر والمظهر لأنها أصل فتجري في كل مقسم به ، فمثال دخولها على الظاهر: الآية السابقة ، وعلى المضمر، في غير القرآن مثل : بك لأفعلن.

٣ – تستعمل في القسم الاستعطافي، وهو المؤكد بجملة طلبية؛ نحو: بالله هل قام زيد، أي أسألك بالله مستحلفا، وغير الاستعطافي، وهو المؤكد بجملة خبرية؛ نحو: بالله لتفعلن.

---

[1] – الكتاب لسيبويه : ،تحقيق : عبد السلام هارون ، ج٣/ ص٤٩٦ وما بعدها . اللامات٣٢٤/٢ لأبي القاسم النهاوندي الزجاجي، تحقيق مازن المبارك دار الفكر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

[2] – مغني اللبيب لابن هشام ١٥٧/١. بتصرف .دار الفكر – دمشق الطبعة السادسة، ١٩٨٥

[3] – سورة النحل ، آية : ٣٨

٤ – أن الباء تكون جارة في القسم وغيره، بخلاف واو القسم وتائه، فإنهما لا تجران إلا في القسم. قلت: ويشاركها في هذا بعض حروف القسم كاللام[١].

ثانيها : الواو : ، وهي بدل من الباء لأنهم أرادوا التوسعة في أدوات القسم لكثرته في كلامهم[٢] ، ثم إنها:

أولا : حرف جر يدخل على الأسماء الظاهرة، نحو قوله: (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)[٣] ، ولا يدخل على الضمير.

ثانيا : أنه لا يذكر معها فعل القسم، فلا تقول: أقسم والله كما تقول: أقسم بالله.

قلت : فإن قال قائل: لم لا يجوز : أحلف والله؟ قيل له: لأنه يلتبس، أنك قد حلفت بيمينين، وذلك أن القائل قد يكتفي بقوله: أحلف، ويجري مجري القسم، فيقول: أحلف لأفعلن، فلو قال: أحلف والله، لجاز أن يتوهم أنه يمينان، فلذلك لم يستعمل، وأما إذا قلت: أحلف بالله، لم يتوهم في ذلك إلا يمين واحدة، لأن من شأن الباء أن يلصق ما بعدها بحكم ما قبلها، ولا يصح الابتداء بها[٤]

---

[١] – الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

[٢] – اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري تحقيق د. عبد الإله النبهان – دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م

[٣] – سورة الأنعام آية : ٢٣

[٤] – علل النحو لأبي الحسن، ابن الوراق ٢١١/١.تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش مكتبة الرشد – الرياض / السعودية – الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م

ثالثا : أنه لا يتلقى بها القسم الاستعطافي والطلبي، فلا تقول: (والله هل فعلت) ولا (والله لا تفعل) كما في الباء، فإنك تقول فيه: (بربك هل فعلت) و (بربك لا تفعل)[١].

ثالثها : التاء، حرف جر معناه القسم ، وهي المحركة في أوائل الأسماء:...)[٢].

وتختص :

أولا : بالدخول على لفظ الجلالة ، وذلك لكثرة الحلف به ، مثل قوله تعالى : (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ....)[٣].

ثانيا : تختص بالتعجب، قال الزمخشري في قوله : (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)[٤] ، فالباء أصل حروف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجب ، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده ، وتأتيه مع عتو نمرود وقهره[٥].

---

[١] – معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي – ٨٨/٣. بتصرف .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن – الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

[٢]– مغني اللبيب لابن هشام ، ص ١٥٧ . دار الفكر – دمشق الطبعة السادسة، ١٩٨٥

[٣] – – سورة يوسف ، آية :٨٤

[٤] – سورة الأنبياء ، آية : ٥٧

[٥] – الكشاف للإمام الزمخشري ، ج٢/ ص ٥٧٦ ، ومغني اللبيب لابن هشام – تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق الطبعة السادسة ١٩٨٥

المطلب الثاني:

ويشتمل على :

- القضايا التي ورد القسم عليها.
- القسم المبدوء ب(لا)والفعل.
- أنواع القسم.
- القسم والشرط.
- ما يجري مجرى القسم.
- بلاغة القسم.
- بلاغة القسم القرآني.

القضايا التي ورد القسم عليها

الناظر في آيات القرآن يلاحظ أن القضايا التي ورد القسم عليها أمور عدة[١]، هي:

١ – القسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها واعتقادها قال تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفّاً ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ)[٢]

٢ – القسم على أن القرآن حق ، قال تعالى : (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)[٣]

---

[١] – ذكر هذه القضايا الإمام السيوطي في إتقانه٤/٥٧

[٢] – سورة الصافات الآيات من ١ : ٤

[٣] – سورة الواقعة الآيات من ٧٥ : ٧٧

٣ – القسم على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حق ، قال تعالى : (يس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيم ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[١] .

٤ – وتارة يكون المقسم عليه نفيا لصفة ذميمة عن الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم – (ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ ، ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)[٢]، و (وَالنَّجْمِ إِذا هَوى، ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى)[٣]، ومن هذا قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ، وَما لا تُبْصِرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ)[٤].

٥ – القسم على الجزاء والوعد والوعيد قال تعالى : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً ، فَالْحَامِلاتِ وِقْراً ، فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً ، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)[٥] ، وقوله (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً ، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً ، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً ، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ، عُذْراً أَوْ نُذْراً ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)[٦] وقوله : (وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ، وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)[٧].

---

[١] – سورة يس، الآيات من ١ : ٤

[٢] – سورة القلم ، آية ١ ، ٢

[٣] – سورة النجم ، آية ١ ، ٢

[٤] – سورة الحاقة ، الآيات من : ٣٨– ٤١

[٥] – سورة الذاريات ، الآيات من : ١ : ٦

[٦] – سورة المرسلات ، من: ١ : ٧

[٧] – سورة الطور ، الآيات من : ١ : ٨

وقد أمر نبيه أن يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات ، هي :

أ – قوله تعالى :(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنّ)[١]

ب – وقوله سبحانه : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ)[٢].

جـ وقوله – عز وجل – (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)[٣] .

٦ – القسم على أحوال الإنسان ، كقوله سبحانه : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)[٤]، ولفظ السعي هو العمل الذي يهتم به صاحبه ويجتهد فيه بحسب الإمكان.

٧ – القسم على صفة الإنسان قال تعالى: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ، إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)[٥].

٨ – القسم على عاقبة الإنسان ، وهو قسم على الجزاء ، كما في قوله :(وَالْعَصْر ، إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[٦] ، وقوله : (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِينِينَ

---

١ – سورة التغابن ، آية : ٧

٢ – سورة سبإ ، آية : ٣

٣ – سورة يونس ، آية : ٥٣

٤ – سورة الليل ، الآيات من ١ : ٤

٥ – سورة العاديات ، الآيات من ١ ، ٦

٦ – سورة العصر

، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[1] .

القسم المبدوء ب(لا) والفعل :

الناظر في آيات القرآن الكريم يلاحظ ورود آيات كثيرة جاء فيها فعل القسم (أقسم) مسبوقا ب(لا) في مواضع ، منها:

١ – يقول تعالى في أول سورة القيامة : (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)[2].

٢ – وفي سورة الحاقة ، يقول عز وجل : (لَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)[3] .

٣ – وفي مطلع سورة البلد ، يقول سبحانه : (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ)[4] .

٤ – وفي سورة الواقعة ، يقول الله تعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[5] .

قلت : النص الأخير دليل قاطع على أن الكلام إثبات قسم لا نفي قسم. وعليه فقد اختلف العلماء في بيان المراد من (لا) في الآيات الكريمة ، وكانت آراؤهم على النحو التالي:

---

[1] – سورة التين ، الآيات من ١ : ٦

[2] – سورة القيامة ، آية ١ ، ٢

[3] – سورة الحاقة ، آية : ٣٨ ، ٣٩

[4] سورة البلد ، آية : ١

[5] – سورة الواقعة ، آية ٧٥ ، ٧٦

١ – ذهب بعض العلماء إلى أن (لا) زائدة، مثلها في قوله تعالى: (لِئَلَّا يَعْلَمَ)[١] ، معناه ليعلم، والمعنى هنا: فأقسم بمواقع النجوم . قال بزيادتها : ابن خالويه [٢] ، وأبو علي الفارسي[٣]، وقال بزيادتها كذلك الزمخشري في تفسيره حيث قال : إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم ، وأشعارهم قال امرؤ القيس:

فلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِيّ ... لَا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِر[٤] .

١. وفائدتها توكيد القسم . ثم قال : واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله ، وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة ، متصل بعضه ببعض ، والاعتراض صحيح ، لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ، ولكن الجواب غير سديد ، ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته.

والقول بالزيادة يرفضه الكثيرون لما قد يترتب عليه من اللبس على بعضهم فقد يتوهم أحدهم أن المقصود من الزيادة : الحشو : الذي لا فائدة منه.

٢ – ذهب آخرون إلى أن (لا) هي لام القسم بعينها، أشبعت فتحتها، فتولدت منها الألف، والمعنى : فلأنا أقسم ، وهذا نظير الألف في قول الشاعر:

---

[١] – سورة الحديد ، آية : ٢٩

[٢] – إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه : ص ٨٧ . مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ – ١٩٤١م)

[٣] – المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبي علي الفارسي : ص ٥٧١ . دار الكتب العلمية بدون تاريخ

[٤] – ديوان امرئ القيس ، ص ٥٢ ، والقوم هنا : بنو تميم . أفر : أنهزم . وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول القصيدة . وابنة العامري هي : فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٩/ ٨٧ . دار الفكر – بيروت/ الطبعة الثانية والمعنى : وأبيك لا تأخرت عن نزال اعدائي لئلا يدعوا علي الفرار من القتال.

أَعُوذُ بِاللَّه مِن العَقْرَابِ[1]

حيث أشبعت فتحة الراء، فتولدت منه الألف، وهذا القول ضعيف لوجهين :

أولهما : اعتراف قائليه بقلة هذا التوليد في لغة العرب.

ثانيهما : خلو فعل القسم إذا كان مستقبلا من النون، يقول النحاة: إذا وقع الفعل مستقبلا مقرونا باللام في حيز القسم وجب اتصال الفعل بنون التوكيد، وحذفها ضعيف جدا.

٣ – يرى آخرون : أن النفي على حاله، و (لا) نفي لمحذوف، هو ما كان يقوله الكفار في ذم القرآن، من أنّه سحر وشعر وكهانة. ثم استؤنف الكلام بعد ذلك، ويكون حاصل المعنى: فلا صحة لما يقولون، أقسم بمواقع النجوم إلخ.

قلت : هذا القول ضعيف لوجهين:

الأول : أن الحذف لا دليل عليه.

ثانيا : أن هذا لا يتفق مع ما ذهب إليه النحاة من أن اسم لا وخبرها لا يصح حذفهما، إلا إذا كانا في جواب سؤال، كما تقول: هل من رجل في الدار؟ فنقول: لا.

---

[1] – الرجز بلا نسبة في لسان العرب ١/ ٤٦٠ ، دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ، وشرح شواهد المغني للإمام السيوطي ٢ / ٧٩٥؛ : لجنة التراث العربي الطبعة بدون، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م. ومغني اللبيب لابن هشام ٢ / ٣٧٢؛ دار الفكر – دمشق الطبعة السادسة، ١٩٨٥ وتاج العروس للزبيدي ٣/ ٥٨ دار الهداية بدون تاريخ وانظر : ضرائر الشِّعْر لابن عصفور ص ٣٣ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ، وتمامه : أَعُوذُ بِاللَّه مِن العَقْرَابِ الشّائلات عقد الأذناب

والمعنى أستجير بالله من الحيوان المسمى عقربا الحامل في ذنبه عقدا مملوءة سما. حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٢/ ٣٧٤

ثالثا : يقول علماء المعاني في مثل هذا الموضع: إن العطف بالواو متعين، كما يقال: هل شفي فلان من مرضه فيقال: لا، وأطال الله بقاءك[١].

٤ – يرى الإمام الفخر الرازي أن كلمة (لا) هي نافية على معناها، غير أن في الكلام مجازا تركيبيا، وتقديره أن نقول: (لا) في النفي هنا مثلها في قول القائل: لا تسألني عما جرى علي ، يشير إلى أن ما جرى عليه أعظم من أن يشرح فلا ينبغي أن يسأله، فإن غرضه من السؤال لا يحصل، ولا يكون غرضه من ذلك النهي إلا بيان عظمة الواقعة، ويصير كأنه قال: جرى علي أمر عظيم، ويدل عليه أن السامع يقول له: ماذا جرى عليك، ولو فهم من حقيقة كلامه النهي عن السؤال لما قال: ماذا جرى عليك، فيصح منه أن يقول: أخطأت حيث منعتك عن السؤال، ثم سألتني وكيف لا، وكثيرا ما يقول ذلك القائل الذي قال: لا تسألني عند سكوت صاحبه عن السؤال، أو لا تسألني، وتقول: ماذا جرى عليك؟ ولا يكون للسامع أن يقول: إنك منعتني عن السؤال: كل ذلك تقرر في أفهامهم: أنّ المراد تعظيم الواقعة لا النهي.

إذا علم هذا فنقول في القسم: مثل هذا موجود من أحد وجهين:

إما أن لكون الواقعة في غاية الظهور، فيقول: لا أقسم بأنه على هذا الأمر، لأنه أظهر من أن يشهر، وأكثر من أن ينكر، فيقول: لا أقسم، ولا يريد به القسم ونفيه، وإنما يريد الإعلام بأن الواقعة ظاهرة، وإما لكون المقسم به فوق ما يقسم به، والمقسم صار يصدق نفسه فيقول: لا أقسم يمينا بل ألف يمين،

---

[١] – تفسير آيات الأحكام للشيخ السايس ص ٧١٦ المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١

ولا أقسم برأس الأمير بل برأس السلطان، ويقول: لا أقسم بكذا، مريدا لكونه في غاية الجزم[1].

قلت : الخلاصة أن القسم المسبوق بالنفي ، هو عبارة من عبارات القسم ، وليست (لا) أداة نفي نافية للقسم كما ادعى البعض ، إذ أنه مردود بقوله تعالى:(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[2] .فقد صرح بالقسم هنا ، وليس بعد بيان الله بيان . كما أن تأكيد الأمر عن طريق النفي مألوف في لغة العرب، فإنك إذا قلت لصاحبك: (لا أوصيك بفلان)، فإنما تريد تأكيد التوصية به، وتبالغ في الاهتمام به . فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالأسلوب الصريح المباشر، وكذلك نفي القسم ، استعمل في القسم من طريق آكد وأبلغ.[3]

يقول الشيخ محمد عبده: لا أقسم عبارة من عبارات العرب في القسم يراد بها تأكيد الخبر كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم. ويقال : إنه يؤتى بها في القسم إذا أريد تعظيم المقسم به كأن القائل يقول: إني لا أعظمه بالقسم لأنه عظيم في نفسه. والمعنى في كل حال على القسم، ويمكن أن يقال إن ذلك تلويح بالقسم مع العدول عنه مما يزيد المقسم عليه تأكيدا، كما إنه أوقع في الحس من القسم المباشر.

وهذا الواقع هو المقصود من العبارة، وهو يتم أحسن تمام بهذا الأسلوب الخاص.

---

[1] – التفسير الكبير للإمام الرازي ٢٩/ ٤٢٦ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – طبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ

[2] – سورة الواقعة آية : ٧٥ ، ٧٦

[3] – الكشف والبيان لفضيلة الدكتور/ سمير شليوة : ، ص ٣٠٤– س٣١٦ بتصرف.

قلت : مما سبق يتبين لنا أن هذا أسلوب في القسم ، وهو مستعمل في العربية . بل وفي لهجاتنا العامية ، كما تم الاستشهاد من قبل العلماء الأفاضل ، سواء في أسلوب الوصية ، أو أسلوب القسم نفسه ، كقولنا: لا والله ما فعلت

ومهما كان تفسيره أو تخريجه نحويا ، فالمعنى واضح ، مقبول ، لغويا ، ونفسيا ، مفهوم عقليا ، والنحو ليس حجة على كلام العرب ، بل كلام العرب هو الحجة على النحو ، لأنه أساس النحو ومادته.

أنواع القسم:

يقسم العلماء القسم باعتبار الإظهار والإضمار إلى نوعين: ظاهر ومضمر.

– فـ (الظاهر)، وهو ما يذكر فيه (المقْسَم) به، مثاله قوله سبحانه:(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[1].

ومن أمثلته أيضا: قوله تعالى:(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[2]، ونحو هذا من الأقسام التي يذكر فيها المقسم به.

– و(المضمر) ، هو ما يكون (المقْسَم) به مضمرا ومقدرا ، والذي يدل عليه بجوابه المقرون باللام ، مثاله : قوله تعالى : (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ..)[3]، فـ (اللام) هنا لام (القَسَم)، دلت على المقسم به، والتقدير

[1] – سورة الذاريات آية :٢٣

[2] – سورة الحجر آية : ٩٢

[3] – سورة آل عمران آية : ١٨٦

(والله لتبلون). ومن أمثلته أيضا : قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)[1]، والتقدير: والله إنكم لواردو النار[2].

القسم والشرط:

ذكر النحويون أنه إذا اجتمع شرط وقسم في جملة واحدة ، فإن الجواب يكون للمتقدم منهما، ويكون جواب الثاني محذوفا لدلالة جواب الأول عليه ، يقول الإمام ابن مالك:

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ[3]

فمثلا : إن تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وأغنى عن جواب الشرط، كقوله تعالى: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ)[4], إذ التقدير: والله لئن لم تنته. واللام الداخلة على الشرط ليست بلام جواب القسم كالتي في مثل قوله تعالى: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ)[5], ولكنها اللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط، وتسمى اللام المؤذنة، وتسمى كذلك الموطئة؛ لأنها وطأت الجواب للقسم، أي مهدته له، ومنه قوله تعالى: (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ

---

[1] – سورة مريم: آية : ٧١

[2] – البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ٣/ ٤٢ ، بتصرف .دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م . والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ٥٦/٤ بتصرف.

[3] – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل ٤/ ٤٣ ، دار التراث – الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م. ومعاني النحو للد. فاضل صالح السامرائي ١٧٥/٤، وما بعدها بتصرف

[4] – سورة مريم ، آية : ٤٦

[5] – – سورة الأنبياء ، آية : ٥٧

لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُون)[1] ، وأكثر ما تدخل اللام الموطئة على "إن" الشرطية، وقد تدخل على غيرها.

ولا يقال: إن الجملة الشرطية هي جواب القسم المقدر، فإن الشرط لا يصلح أن يكون جوابا؛ لأن الجواب لا يكون إلا خبرا، والشرط إنشاء، وعلى هذا فإن قوله تعالى في المثال الأول: {لأرجمنك} يكون جوابا للقسم المقدر أغنى عن جواب الشرط.

ودخول اللام الموطئة للقسم على الشرط ليس واجبا، فقد تحذف مع كون القسم مقدرا قبل الشرط. كقوله تعالى: وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2] ، والذي يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه وأنه ليس بمجزوم، بدليل قوله تعالى : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)[3], ولو كانت جملة (لَا يَأْتُونَ) جوابا للشرط لجزم الفعل.

وأما قوله تعالى: (وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[4] ، فاللام في: (ولئن) هي الموطئة للقسم، واللام في: (لإلى الله) هي لام القسم، أي الواقعة في الجواب، ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور، والأصل: لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله[5].

---

[1] – سورة الحشر ، آية : ١٢

[2] – سورة المائدة ، آية : ٧٣

[3] – سورة الإسراء ، آية : ٨٨

[4] – سورة آل عمران آية : ١٥٨

[5] – : البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ٤٦/٣ وما بعدها بتصرف تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٣٠٦ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م ، وينظر :

ما يجري مجرى القسم[١]

سبق القول بأن الغرض من القسم : تأكيد المقسم عليه ، وعليه فإن علماءنا الكرام قد ذكروا أن بعض الأفعال تجري مجرى القسم إذا كان في الكلام ما يدل على ذلك.

يقول الإمام الزركشي[٢]: الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان:

أحدهما: ما تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم، فلا تجاب بجوابه كقوله:

(وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٣]، (وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا)[٤]، (يَحْلِفُونَ لَكُمْ)[٥] وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما، وأن يكون حالا، لخلوّه من الجواب.

والثاني: ما يتلقى بجواب القسم، كقوله: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ)[٦]،(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ)[٧].

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤٣/٤، وما بعدها تحقيق الدكتور: محمد محيي الدين عبد الحميد دار التراث – القاهرة ، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين حسن المرادي المصري المالكي ١٢٨٩/٣، وما بعدها شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر طبعة دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م

[١] – ذكر الإمام الزركشي في برهانه بعضها ٤٥/٣ ، وكذا الإمام السيوطي في الإتقان ٥٦/٤

[٢] – البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ٣/ ٤٥.الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية. الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ٥٦/٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

[٣] – سورة الحديد ، آية : ٨

[٤] – سورة البقرة ، آية : ٦٣

[٥] – سورة التوبة آية: ٩٦

[٦] – سورة آل عمران ، آية : ١٨٧

[٧] – سورة النور ، آية : ٥٣

قلت: ومن هذه الأفعال:

١ – الفعل (تأذن)

من الأفعال التي تجري مجرى القسم الفعل : (تأذن) ، قال تعالى :(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)[١].

قال الزجاج: قال بعضهم: تأذن: تألى وقيل: إن تأذن: أعلم[٢].

وقال الإمام الزمخشري : تأذن ربك : عزم ربك ، وهو تنقل من الإيذان؛ وهو الإعلام.. وأجرى مجرى فعل القسم، كعلم الله، وشهد الله؛ ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله لَيَبْعَثَنَّ [٣]...

٢ – عاهد

ومن الأفعال التي تجري مجرى القسم : (عاهد)

قال تعالى : (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ)[٤]

فقوله : (عَاهَدُوا اللَّهَ) بمنزلة القسم، و(لا يولون الأدبار) جوابه.

قال أبو حيان : عاهدوا: أجري مجرى اليمين، ولذلك يتلقى بقوله: لا يولون الأدبار. وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى: ولو جاء كما لفظوا به، لكان التركيب: لا نولي الأدبار[٥]، وقال السمين : قوله: (لاَ يُوَلُّونَ) : جواب لقوله : (عَاهَدُوا) لأنه في معنى أقسموا.

---

[١] – سورة الأعراف آية :١٦٧

[٢] – معاني القرآن للزجاج ٢:٤٢٨. عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

[٣] – الكشاف للإمام الزمخشري ٢:١٧٣. دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ

[٤] – سورة الأحزاب آية : ١٥

[٥] – البحر المحيط للإمام أبي حيان : ٨/٤٦٢. دار الفكر – بيروت طبعة: ١٤٢٠ هـ

وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة،ولو جاء على حكاية المعنى لقيل: لا يولي[١].

٣ – تمت

ومن الأفعال التي تجري مجرى القسم : الفعل: (تمت)

قال سبحانه :(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[٢]

قال ابن عطية : واللام في (لَأَمْلَأَنَّ) لام قسم إذ (الكلمة) تتضمن القسم[٣]. وقال صاحب التفسير الوسيط: أي: وتمت كلمة ربك، ونفذ قضاؤه، وثبت حكمه الذي أكده وأقسم عليه بقوله: لأملأن جهنم من عصاة الجن، ومن عصاة الإنس أجمعين[٤].

٤–قضينا

ومن الأفعال التي تجري مجرى القسم كذلك الفعل : (تمت) ، قال الله تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ)[٥]، قال الزمخشري : لتفسدن: جواب قسم محذوف، ويجوز أن يجري القضاء

---

[١] – الدر المصون للإمام السمين الحلبي :٩/ ١٠٣. : دار القلم، دمشق. بدون تاريخ

[٢] – سورة هود ، آية : ١١٩

[٣] – المحرر الوجيز للإمام ابن عطية : ٣ : ٢١٦. دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ

[٤]– التفسير الوسيط لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ٧ / ٢٩٥. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى ، مارس ١٩٩٨

[٥] – سورة الإسراء ، آية : ٤

المبتوت مجرى القسم، فيكون (لتفسدن) جوابا له، كأنه قال: واقسمنا لتفسدن[١].

٥-وعد

ومن الأفعال التي تجري مجرى القسم أيضا الفعل : (وعد) ، في قول الله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ)[٢] ، قال الزمخشري : فإن قلت: أين القسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنهم)، قلت: هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل (وعد الله) في تحققه منزلة القسم، فتلقى بما يتلقى به القسم، كأنه قيل: أقسم بالله ليستخلفنهم[٣].

٦- تتفكروا

ومنها أيضا الفعل : تتفكروا في قول الله سبحانه : (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ....)[٤]

قال أبو حيان : وفي (ما) هذه قولان :

أحدهما: أنها نافية.

الثاني: أنها استفهامية.

---

[١] – الكشاف لجار الله الزمخشري : ٢:٦٤٩ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ

[٢] – سورة النور ، آية : ٥٥

[٣] – الكشاف للزمخشري ٣:٢٥١:

[٤] – سورة سبإ ، آية : ٤٦

لكن لا يراد به حقيقة الاستفهام، فيعود إلى النفي. وإذا كانت نافية ، فهل هي معلقة، أو مستأنفة، أو جواب القسم الذي تضمنه معنى (تتفكروا) لأنه فعل تحقيق كتبين وبابه؟ ثلاثة أوجه. نقل الثالث ابن عطية[١] قال ابن عطية: وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القسم، لأن (تفكر) من الأفعال التي تعطى التمييز كتبين[٢].

٧ – كتب

ومنها : الفعل كتب ، قال تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي...)[٣].

قال العلامة الآلوسي : (كَتَبَ اللَّهُ..) أي: أثبت في اللوح المحفوظ، أو قضى وحكم.. وهذا التعبير جار مجرى القسم، ولذا قال– سبحانه–: لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلي)[٤]، وقال السمين : قوله : (كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ) ، يجوز أن يكون (كتب) جرى مجرى القسم فأجيب بما يجاب به. وقيل: هي جواب (كتب) لأنه بمعنى قال) . وهذا ليس بشيء لأن (قال) لا يقتضي جوابا فصوابه ما قدمته. ويجوز أن يكون (لأغلبن) جواب قسم مقدر، وليس بظاهر[٥].

٨–يعلم

ومنها الفعل : (يعلم) .قال الله تعالى : (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)[٦]

---

١ – الدر المصون للسمين الحلبي : ٩/ ٢٠٠

٢ – المحرر الوجيز لابن عطية /٤/ ٤٢٥

٣ – سورة المجادلة ، آية : ٢١

٤ – روح المعاني للإمام الآلوسي ج٢٨ ص٣٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ

٥ – الدر المصون للسمين الحلبي ١٠/ ٢٧٤، : دار القلم، دمشق

٦ – سورة يس ، آية : ١٦

قال الزمخشري : (رينا يعلم) جار مجرى القسم في التوكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله[١].

وفي المقتضب: «كما أنك تقول: علم الله لأفعلن، فعلم فعل ماض، والله- عز وجل- فاعله فإعرابه إعراب رزق الله، إلا أنك إذا قلت: علم الله فقد استشهدت، فلذلك صار فيه معنى القسم[٢] .

٩-يشهد

ومن الأفعال التي تجري مجرى القسم كذلك الفعل :(يشهد) ، قال تعالى : (قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)[٣].

قال الإمام الزمخشري: لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد ، وأشهد بالله ، وأعزم ، وأعزم به في موضع أقسم وبه استشهد أبو حنيفة- رحمه الله- على أن (أشهد) يمين[٤].

قال الإمام أبو حيان : (نشهد) يجرى مجرى القسم، ولذلك تلقى بما يتلقى به القسم، وكذلك فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم[٥].

١٠-أخذالميثاق

ومنها : (أخذ الميثاق) .قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ

---

[١] – الكشاف للزمخشري : ٤:٩

[٢] – المقتضب للمبرد ج٢:٣٢٥ ، عالم الكتب. – بيروت

[٣] – سورة المنافقون ، آية : ١

[٤] – الكشاف للإمام الزمخشري ٤:٥٣٨ : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ

[٥] – البحر المحيط للإمام أبي حيان / ٨:٢٧١ ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة ١٤٢٠ هـ

مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ)[1].

أخذ اليمين : استحلاف. قال الزجاج : أخذ الله ميثاقهم أي استحلفهم[2]. (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ)[3] ، وقال الفراء : استحلفهم لَيُبَيِّنُنَّه ولا يَكْتُمُونَهُ" وقال (لَتُبَيِّنَنَّهُ وَلا تَكْتُمونَهُ) أي: قُلْ لَهُم: "وَاللهِ لَتُبَيِّنُنَّهُ ولا تَكْتُمُونَه[4]".

قال أبوحيان : لتؤمنن به ، جواب لقوله: أخذ الله ميثاق النبيين ، ونظيره من الكلام في التركيب: أقسم لأيهم صحبت، ثم أحسن إليه رجل تميمي لأحسنن إليه، تريد لأحسنن إلى الرجل التميمي. فلأحسنن جواب القسم، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه.

وكذلك في الآية جواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه.

بلاغة القسم

تبين لنا مما سبق أن أسلوب القسم في اللغة ، طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم ، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين ، أو إزالة شك الشاكين .والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه ، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وعلى أسلوب كلامهم ، ومناحي خطابهم ، وكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا

---

[1] – سورة آل عمران ، آية : ٨١

[2] – معاني القرآن للإمام الزجاج١/ ٤٣٧ عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

[3] – سورة آل عمران ، آية :١٨٧

[4] – معاني القرآن للإمام الفراء ١/ ٢٤٠ مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م

توكيد الأخبار وتقريرها ، جاءوا بالقسم ، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة ، في مواضيع شتى ، لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد.

بلاغة القسم القرآني

بعد هذا الإيجاز يجدر بنا أن نتعرف على ما في أسلوب القسم من وجوه البلاغة ، لتكتمل النظرة ، وتتم الفكرة .

١- يمتاز أسلوب القسم بإيجازه ، ولهذا يهجم على السامع ، فيمتلك مشاعره ، ولعل العرب أكثروا منه ، وافتتنوا فيه لوجازته ، وهم إلى الإيجاز أميل في شعرهم ونثرهم ، ومن هنا راجت الأمثال بينهم وشاعت ، وذاعت الحكم والتوقيعات فيما بعد العصر الجاهلي ، وتسابقوا إلى تجديدها ، والاحتفاظ بها .

٢- القسم ضرب من الأسلوب الإنشائي ، لا مناص للخصم من الإقرار به ، ولا وجه له في إنكاره ، فإن شاء أن ينكر ، انصب إنكاره على جواب القسم ، لا على القسم نفسه ، لأن الجواب خبر [١] لا إنشاء [٢] .

وقد يجمع القرآن الكريم بين القسم والوصف ، كالقسم بالقرآن المجيد واليوم الموعود ، والصافات صفا ، ففي هذا وأشباهه قسم ، ووصف للمقسم به ، ليكون الاستدلال أعظم في النفس وأوقع .

---

[١] – الخبر : هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، أي : لذات الخبر نفسه . وهذا بالطبع يخرج ما كان صادقا قطعا ، وما كان كاذبا قطعا . انظر : فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، مبحث الخبر ، ص٩٩ وما بعدها .

[٢] – الإنشاء : ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا . وهو قسمان : طلبي ، وغير طلبي . انظر : فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها ، (مرجع سابق) مبحث الإنشاء ، ص١٤٧ وما بعدها .

٣- قد يحذف جواب القسم في القرآن ، وهو المقسم عليه ، فينتقل بعد القسم إلى كلام آخر، لكنه مرتبط بالجواب المحذوف . والسر في هذا أنه يسد على المخاطب المنكر طريق الفرار ، فلا ينتقل من القسم وهو إنشاء ، إلى الجواب وهو خبر ، لئلا يجاري المنكر في الجواب ، ثم ليكون القسم كالتمهيد والتنبيه ، فيسترعي سمع المخاطب ، فيرهف أذنيه ليستمع ما بعد القسم ، فإذا به يسمع ما يؤيد الاستدلال المقصود من القسم نفسه ، كقوله تعالى : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)[١] ، فأقسم بحرف من حروف الهجاء التي يتكون منها القرآن ، على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز ، وأتبعه بالقسم بالقرآن ، وحذف الجواب لدلالة التحدي عليه ، كأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه كلام معجز ، ولكن الكفار استكبروا ولم يذعنوا إليه ، فعارضوا الرسول وكذبوه .

أو كأنه قال : أقسم بالقرآن ذي الشرف العظيم ، إنك لصادق فيما تبلغ عن ربك ، ولكن الكفار استكبروا ولم يذعنوا للحق ، وأصروا على العناد .

أو أقسم بالقرآن أن الأمر ليس كما يزعم هؤلاء الكفار ، بل هم في استكبار ومخالفة ، وعداوة لمحمد .

٤- إن من مزايا القسم أنه يسهل الجمع بين عدة أدلة في جملة واحدة ، أو في جمل متلاحقة ، كما في سور: التين ، والبلد ، والطور ، والشمس ، والليل ، والفجر ، مع الإيجاز، ولو أن الأدلة فصلت وبسط فيها القول ، لفقد الكلام روعته وتأثيره .

٥- يشرك القسم الاستدلالي السامع في استنباط الدليل ، ويخفف من عناده وخصامه ، فيشعر أنه تعرف وتأمل، ولهذا كانت الأساليب الإنشائية

[١] – سورة ص آية ١ ، ٢

كلها أكثر اجتذابا من الأساليب الخبرية . وهذا هو السبب في أن الحاذق اللبق ينوع أساليبه ، ويراوح بين الإنشاء والخبر ، لينشط المخاطب ، ويشركه في الفهم ، والبحث ، والاستنباط ، حتى ليتوهم أنه هو الذي اهتدى إلى الحق بنفسه .

ومن ضروب بلاغة القسم أنه تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى، لأنه يقرع أذني المخاطب ، فيصغي ويترقب ما بعده ، ثم تجيء الدعوى فيسهل قياده لها ، ولكنه إذا فوجئ بالدعوى التي ينكرها ، انصرف عنها ونفر منها . وشتان ما بين قولك[1]: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون . أقسم بالقلم وما يسطرون) ، وقوله تعالى : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)[2].

[1] أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم د. سامي عطا حسن

[2] – سورة القلم ، آية : ١ ، ٢

المطلب الثالث:

شبهات مردودة حول القسم

الشبهة الأولى

يقول هؤلاء الأفاكون : إن القسم في القرآن قد جاء على أمور مهمة ، كالمعاد والتوحيد والرسالة. ولا فائدة فيها للقسم ، لا للمنكر بها ؛ فإنه يطلب الدليل والبرهان ، والقسم ليس فيه شيء منه ، ولا للمؤمن فإنه قد آمن بها.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

الأول : هذا الكلام من هؤلاء يدل على جهل قبيح بأساليب لغة العرب وفنونها ، ولو أنهم كانوا منصفين ، أو صادقين في البحث عن وجه الحقيقة لبحثوا في لغة العرب من حيث تنوع الأساليب ، وتنوع طرق التعبير ، ولو أنهم فعلوا لوجدوا في لغة العرب كثيرا من ألوان القسم لأغراض مختلفة ، ولأسباب متنوعة تناقض مدعاهم جملة وتفصيلا.

الثاني : أقول لهؤلاء : إن القرآن الكريم بما تضمنه من آيات القسم قد استمع إليه العرب ومنهم المؤمن ، والكافر ، والمنافق ، فلم ينكر أحد منهم مثل هذا الأسلوب على آي الذكر الحكيم ، مما يعد تسليما بروعة مثل هذا الأسلوب وبلاغته ، رغم ما انطوت عليه أنفس الذين أشركوا ، والذين هادوا ، والذين نافقوا من حقد عظيم على دين الله يجعلهم من أحرص الناس على الظفر بمثلبة في القرآن تكفيهم عناء الحروب وغيرها في القضاء على دين الله تعالى ، أو على الأقل تشويه دين الله سبحانه على أقل تقدير ، ولعل في ذلك ما يكفيهم لصد بعض الناس عن دين الله سبحانه.

وهنا أتساءل : هل هؤلاء أشد عداء من آبائهم وأجدادهم؟ وهل هؤلاء أعلم بلغة العرب منهم بحيث علموا ما يعلم آباؤهم من قبل؟ اللهم لا.

الثالث : لو أن هؤلاء كلفوا أنفسهم قليل بحث في لغة العرب الرائعة عامة ، وفيما يتعلق بالقسم خاصة لتبين لهم بوضوح مجيء ألوان من القسم للمنكر ، أو للمصدق ، أو لخالي الذهن. إذ الغرض من الكلام حينئذ أن يشعر المخاطب بعظم وأهمية الغرض الذي أقسم من أجله ، لكي يقيم الحجة على المخاطب إذا وقع خلاف ما يعتقد ، حتى لا يبقي له عذر ، أو ليأخذ الأمر الذي يراه هينا مأخذ الجد والاهتمام ، حذرا من العواقب ، على حد قول الله تعالى :(وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)[1].

يقول الإمام الزركشي : أن الله ذكر القسم لكمال الحجة ، وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم، فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة ، وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى:(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[2] صاح وقال: من الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟ قالها ثلاثا ثم مات[3].

الرابع : أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين ، ومن شأن العرب : أن تقسم إذا أرادت أن تؤكد على أمر من الأمور.

---

[1] – سورة النور ، آية : ١٥

[2] سورة الذاريات الآيتان ٢٢،٢٣

[3] – البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ٣/ ٤١ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ، والمنهاج الواضح للبلاغة للأستاذ/حامد عوني ٢/ ١٤، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ، بون تاريخ.

ولمزيد من البيان أقول :إن القسم في القرآن قد جاء على حسب الاستعداد النفسي للأفراد ، ومما لا شك فيه أن هذا الاستعداد النفسي يختلف من شخص لآخر ، بل إن الشخص الواحد يتفاوت استعداده النفسي من وقت لآخر ، على حسب الظرف الذي هو فيه ، فالنفس الصافية يكفيها في الانقياد للحق لمحة أو إشارة ، وأما النفس التي اكتست بثوب الجهل ، وغشيتها ظلمة الباطل ، فلن يهتز لها حس ، أو يتحرك فيها عقل إلا بمطارق الزجر ، وألوان من التوكيد حتى يتزعزع إنكارها للحق ، وما القسم إلا وسيلة منطوية على البرهان الفحم للمنكر ، ولذا يقول الأستاذ عبدالمتعال الصعيدي : قسم البلاغيون الخبر بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أضرب:

الأول: الابتدائي، وذلك إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي يتضمنه الخبر، فيلقى إليه الكلام مجردًا من التأكيد باستغنائه عنه كقولك: أفلح المجتهد، وخاب الكسول؛ لأن الكلام يتمكن بسهولة إذا صادف ذهنًا خاليًا على حد قول القائل:

أَتاني هواها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهوى ** فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا[1]

[1] – ديوان ديك الجن ص ١٧٩ لديك الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان. بدون تاريخ. وقد اختلفت المصادرُ النّاقلة له في تحديد قائله، وفي روايته؛ حيث ورد عند الجاحظ منسوبًا إلى مجنون بني عامر؛ برواية: "قلبي فارغًا" في البيان والتّبيين؛ للجاحظ: (٢/ ٤١ – ٤٢)، : دار ومكتبة الهلال، بيروت : ١٤٢٣ هـ ورواية: "قلبًا خاليًا" في الحيوان: (١/ ١٦٩، ٤/ ١٦٧)، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ وبهذه الرّواية منسوبًا إلى ديك الجن؛ عبد السّلام بن رغبان في ديوانه ، كما ورد في عيون الأخبار؛ لابن قتيبة: (٣/ ٩) منسوبًا إلى عمر بن أبي ربيعة؛ برواية: "قلبًا فارغًا"، دار الكتب العلمية –بيروت ١٤١٨ هـ وورد –أيضًا– منسوبًا إلى ابن الطّثريّة في الموازنة (٦٩) برواية عيون الأخبار، وفي محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء؛ للأصفهانيّ: ٢/ ٥٥ برواية الحيوان. طبعة دار الأرقم – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ

الثاني: الطلبي إذا كان المخاطب مترددًا في الحكم طالبًا له، فيؤكد بمؤكد واحد استحسانًا؛ ليزيل تردده، ويبين له الحقيقة، فيتمكن الخبر في نفسه كقولك لمن يشك في نجاح زيد: إن زيدًا ناجح، وكقولهم: إن البلاء موكل بالمنطق. ومن هذا النوع قوله تعالى في شأن ذي القرنين: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا)[1] ، وذلك بعد السؤال عنه في الآية السابقة، فالمخاطب طالب للحكم، مستشرف لمعرفته، ولذلك جاء الخبر مؤكدًا؛ ليزيل تردده ويضع يده على الحقيقة.

الثالث: إنكاري وذلك إذا كان المخاطب منكِرًا للحكم الذي يتضمنه الخبر معتقدًا غيره، فيجب أن يؤكد له الخبر بحسب إنكاره قوة وضعفًا، فكلما زاد إنكاره زِيد له في التوكيد، وعلى سبيل المثال إذا كان المخاطب ينكر صدقك، فإنك تقول له: إني صادق. فإذا بالغ في الإنكار وأصر عليه تقول: إني لصادق. ومنه –هو خير ما يمثل به في هذا الباب– قول الله تعالى في شأن رسل عيسى –عليه السلام: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)[2] .

ولعلك ترى خطاب الرسل لأصحاب القرية قد جاء هنا مؤكدا في المرة الأولى بإن واسمية الجملة (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) ، ولما اشتد تكذيب آل القرية لهؤلاء

[1] – سورة الكهف ، آية : ٨٤

[2] – سورة يس ، آية : ١٣ – ١٦.

الرسل جاء الرد في المرة الثانية مؤكدًا بإن واللام واسمية الجملة والقسم (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)[1].[2]

قلت : يتضح لنا فيما سبق أن القسم له أغراض مختلفة ، ومقاصد متنوعة ، منها ما يرجع إلى حال المخاطب ، ومنها ما يرجع إلى غرض المتكلم أيا كان حال المخاطب، وعلى هذا النسق جاء القسم في القرآن المجيد ، فمنه ما قد جيء به لإبراز كمال الحجة ، وتأكيدها ، قطعا لأعذار الخلق خاصة في القضايا التي كثر حولها الشغب كقضايا البعث والرسالة ، وهذا المسلك لبس بغريب على العرب الذين قد نزل القرآن بلغتهم على نحو ما مر بك آنفا. ومنه ما قد سيق لأغراض أخرى كبيان شرف المقسم به، وعلو قدره، حتى يعرف الناس مكانته عند الله ورفعة منزلته لديه مثلا. وبهذا يتبين لنا زيف ما ذهب إليه القوم ، والله أعلم.

الشبهة الثانية

جاء في الشبكة العنكبوتية : (الإنترنت) شبهة حول هذا الموضوع أنقلها بنصها على ما فيها، يقول هؤلاء في موقع زلزال مكة:

س: كيف لا يقسم الله بنفسه؟ وهل هو يقسم بنفسه، أو بما قد نبصره من قاذورات، أو نجاسات مثلًا؟ وكيف يعلمنا أن نقسم بما لا نبصره؟

---

[1] – سورة يس ، آية : ١٦.

[2] – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ١/ ٤٣ ، مكتبة الآداب ، الطبعة السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

- (كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) [المعارج: ٣٩-٤٠] - (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) . [الحاقة: ٣٨- ٣٩].

الجواب عن النقطة الأولى: فهو سبحانه يقسم بنفسه؛ لأنه لما كان الغرض من القسم تعظيم المقسم به، فقد أقسم سبحانه بنفسه؛ لأنه لا أعظم منه سبحانه وتعالى، ثم إنه سبحانه وتعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)[١]

* وأما بالنسبة للإجابة عن النقطتين الأخيرتين، فأقول: إن الله عز وجل يقسم بما نرى ومالا نرى إشارة إلى سعة خلقه جل شأنه، والمقصود من هذه الأشياء ما من شأنه أن يقسم به من الأمور العظيمة.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: جمع الله في هذا القَسَم كل ما الشأن أن يُقسَم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى ومن مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته إذ يجمع ذلك كله الصِلَتان (بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)، فمما يبصرون : الأرض والجبال والبحار والنفوس البشرية والسماوات والكواكب ، وما لا يبصرون : الأرواح والملائكة وأمور الآخرة[٢].

قلت: أيًا ما كان الأمر فإن القسم إنما يكون بالأمور العظيمة التي لها وقع على نفس من يقسم له به، دفعا له إلى تصديق ما أقسم له من أجله، أو العمل بموجبه، لذلك نهينا عن القسم بغيره سبحانه وتعالى. أما القاذورات والنجاسات فمعلوم عقلا وعرفا خروجها عن القسم بها؛ إذ لا قيمة لها عند القسم بها لدى المخاطب.

---

[١] - سورة الأنبياء ، آية : ٢٣.

[٢]() التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ٢٩/ ١٤١.

أقول : سلمنا أن القسم في قوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ)، يشمل ما ذكروا من النجاسات والقاذورات، لكن هذه الأشياء على حالها هذا غالبا تكون نتيجة لتحلل شيء ما، أو محولة عن شيء آخر، وفي هذا ما فيه من الدلالة على قدرة العلي العظيم، بمعنى أن القادر على تحويل هذه المواد إلى ما ترون قادر على إعادة من في القبور، فالطعام مثلا يتحول إلى ما هو معلوم رغم أن الأطعمة مختلفة الألوان والأشكال والمذاق لكنها تخرج على هيئة واحدة بحيث لا يستطاع التمييز بين طعام وآخر، أليس القادر على ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟!!

الشبهة الثالثة :

القسم يكون بالذي عظم وجلَّ. وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :(من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت[1]). فنهى عن القسم بغير الله. فكيف يليق بجلالة ربنا أن يقسم بالمخلوق ، ولا سيما بأشياء مثل التين والزيتون؟ . وعلى موقع الإسلام سؤال وجواب جاءت هذه الشبهة :ترى المسيحية أن الله تعالى لا يحتاج أن يقسم بنفسه ولا بشيء من خلقه ، إلا أنه قد جاء مقسما بخلق من خلقه في القرآن ؛ فهل يمكن توضيح تلك النقطة ؟[2]

والجواب عن هذه الشبهة أقول:

[1] – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري للإمام البخاري في كتاب الشهادات باب: كيف يستحلف حديث رقم ٢٦٧٩ .ج٣/ ١٨٠ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ . وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب النذور – جامع الأيمان حديث رقم : ١٧٤٩/ ٤٦٧

[2] – موقع الإسلام سؤال وجواب – لماذا يقسم الله تعالى في القرآن ببعض مخلوقاته ؟

وقبل أن نجيب على هذه المغالطات أحب أن أنبه القارئ الكريم إلي أمور:

أولها : بالنظر فيما قال هؤلاء يتضح أنهم لا علم لهم بما قد طعنوا فيه من التنزيل الحكيم ، وإنما حديثهم يبدو أنه عن هوى نفس ، وزيغ في القلب، أعماهم عن معرفة الصواب بحيث جعلهم يرون الخطأ صوابا والصواب خطأ.

ثانيها : أن هذه الآيات الكريمة – والتي تضمنت قسما من رب العزة والجلال ببعض مخلوقاته –قد قرئت على مسامع العرب من أسلم منهم ، ومن لم يسلم، فلم ينكروا ولم يعترضوا ، علما بأن من هؤلاء الذين لم يسلموا من كان أشد عداوة لله ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – من هؤلاء بكثير ، يدرك ذلك من كان له أدنى إلمام بالسيرة والتاريخ فلماذا لم ينكروا ... ؟!!!

ثالثها : ولو كان القسم ببعض المخلوقات فيه ما توهم هؤلاء لأنكروا ذلك على سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو على أقل تقدير لراجعوه – صلى الله وسلم – في شأن هذا القسم بأشياء خارجة عن مألوفهم . ليتفهموا سر ذلك، فلما لم ينقل ذلك عنهم ، علم إقرارهم وتسليمهم بمألوف ذلك لديهم.

رابعها : إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن الله – عز وجل – قد أقسم ببعض المخلوقات كالذاريات ، قال تعالى : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)[1] ، وبالمرسلات ,قال تعالى : وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)[2] ، وبالفجر وغيره ، قال تعالى :(وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)[3] إلى غير ذلك من الأمور التي أقسم بها سبحانه في محكم كتابه ، والغرض من هذا القسم : تعظيم المقسم به وتشريفه، وورود هذا في القرآن مشعر بجواز القسم بغيره

[1] – سورة الذاريات ، آية : ١

[2] – سورة المرسلات ، آية : ١

[3] – سورة الفجر ، الآيات من : ١ : ٤

سبحانه ، لكن يعكر على هذا ورود النهي عن القسم بغيره سبحانه في عدة أحاديث عنه – صلى الله عليه وسلم – منها :

– ما أخرجه الإمام البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب، وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: –: (إِنَّ اللهَ ينْهاكُم أنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ فمن كان حالفا؛ فليحلف بالله، وإلا فليصمت)[1] .

–و ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر عن عمر أنه قال: لا وأبي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مه ، إنه من حلف بشيء دون الله فقد أشرك[2].

هذا ، وقد حمل العلماء النهي الوارد في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على من يقصد بالقسم : التعظيم ، في محاولة منهم للتوفيق بين النصوص السابقة على النحو التالي:

أولا : أن القسم في هذه النصوص على حذف مضاف: أي ورب التين، ورب الشمس، وكذا الباقي.

ثانيا : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء ، وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفونه.

---

[1] – أخرجه الإمام البخاري في ك الأيمان والنذور – باب لا تحلفوا بآبائكم حديث رقم ٦٦٤٦ والإمام مسلم في ك الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى حديث ١٦٤٦ وأبو داود في سننه في ك كتاب الأيمان والنّذور باب في كراهية الحلف بالآباء حديث رقم ٣٢٤٩ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الكفارات– باب النهي أن يحلف بغير الله حديث رقم ٢٠٩٤

[2] – المسند – مسند ابن عمر حديث رقم ٣٢٩قال محققه : إسناده صحيح ، وأخرجه الطبراني في الكبير معجم ابن عمر حديث رقم ١٣٩٥١

ثالثا : أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه، وتارة بمصنوعاته، لأنها تدل على بارئ وصانع.

ثم إن القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

رابعا: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

قال السيوطي : أقسم الله تعالى بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله: (لَعَمْرُكَ) لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره[1] قال: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[2]

وأما ما وقع مما يخالف ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي أفلح وأبيه إن صدق[3] فقد أجاب عن ذلك ابن حجر في الفتح فقال رحمه الله تعالى : من العلماء من طعن في صحة هذه اللفظة يعني قوله عليه السلام : (وأبيه) قال ابن عبد البر: هذه اللفظة غير محفوظة . ويرد على هذا بأنه قد ثبتت هذه اللفظة في حديث مرفوع أخرجه مسلم[4] أنه عليه السلام قال للذي سأل : أي الصدقة أفضل؟ فقال : وأبيك لتنبأن.

---

[1] – الإتقان للإمام السيوطي ج٤/٥٥

[2] – سورة الحجر ، آية : ٧٢

[3] – أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام حديث رقم ١١٠

[4] – صحيح الإمام مسلم كتاب الآداب – باب بر الوالدين حديث رقم ٦٥٩٤

فإذا ثبت ذلك فيجاب بأجوبة :

الأول : أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير أن يقصدوا به القسم ، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف ، وإلى هذا جنح البيهقي ، وقال النووي : إنه الجواب المرضي .

الثاني : أنه كان يقع في كلامهم على وجهين:

أحدهما : للتعظيم .

والآخر للتأكيد.

والنهي إنما وقع عن الأول.

فمن أمثلة ما وقع في كلامهم للتأكيد ، لا للتعظيم ، قول الشاعر :

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى اسْتَوْدَعَتْنِي أَمَانَةً ... فَلَا وَأَبِي أَعْدَائِهَا لَا أَخُوْنُهَا[1]

فلا يظن أن قائل ذلك قصد تعظيم والد أعدائها ، فدل على أن القصد بذلك تأكيد الكلام ، لا التعظيم.

الجواب الثالث : إن هذا كان جائزا ثم نسخ.

قال المنذري : دعوى النسخ ضعيفة لإمكان الجمع ، ولعدم تحقق التاريخ.

الجواب الرابع: أن في الجواب حذفا ، تقديره : أفلح ورب أبيه. قاله البيهقي.

الخامس: أنه للتعجب . قاله السهيلي. قال : ويدل عليه أنه لم يرد بلفظ : أبي ، وإنما ورد بلفظ : وأبيه ، أو وأبيك بالإضافة إلى ضمير المخاطب حاضرا ، أو غائبا.

[1] – أمالي القالي : لأبي علي القالي ١/٧٠ ، وقال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي ، الأمالي دار الكتب المصرية ، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م

السادس: أن ذلك خاص بالشارع دون غيره من أمته وتعقب بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال[١].

قلت: القول بأن القسم على حذف مضاف عدول عن الظاهر، وهذا لا يكون إلا بدليل؛ لأن ما منع من العباد لا يلزم أن يكون ممنوعا صدوره عن الله، إذ المانع في حق العباد أن في القسم بغير الله تعظيما لذلك الغير، والعباد يجب ألا يشركوا مع الله أحدًا في التعظيم، وهذا المعنى غير مدرك في جانب الله تعالى. فهو إذ يعظم فإنما يعظم أشياء دانت له بالربوبية، ولا يمكن في العقل أن تتعاظم على من هي في قبضة يده، وبسطة سلطانه، وهو يعرف الناس بعظمتها، فإنما يرشدهم إلى عظمة خالقها، وهو إذ يقسم بها فإنما يقسم بها، لأن لها شأنًا بديعًا، ومنفعة عند العبد يدركها، أو ينتقل من إدراك إتقان صنعها إلى أنه لابد أن تكون صادرة عن المدبر الحكيم اللطيف الخبير، ثم هي فوق ذلك نعمة من نعمه على عباده، والحلف بها تذكير بالنعمة لتقابل بالشكر.

ولو كان الأمر كما قالوا على تقدير مضاف لكان القسم مكررا في مثل قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)[٢].

إذ يصير المعنى: وباني السماء وبانيها، وطاحي الأرض وما طحاها، ونفس وما سواها، ومثل هذا ينزه عن القرآن الكريم[٣].

---

١ – أفدته من الإمام ابن حجر في الفتح عند شرحه لحديث (إِنَّ اللهَ ينْهاكُم أنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ ... رقم ٦٦٤٦

٢ – سورة الشمس ، الآيات : ٥–٧

٣– تفسير آيات الأحكام للشيخ السايس بتصرف ٤/٣٠٠، طبعة مؤسسة المختار الأولى ٢٠٠١م.

– وأما القول بأن ذلك قبل النهي، فلا دليل عليه، وعلى أي حال، فإن النسخ لا يصار إليه إلا عند تعارض الأدلة المتساوية تعارضا تاما بحيث لا يمكن التوفيق بينها بحال، ويعلم المتقدم من المتأخر، فعندئذ يحكم على المتقدم بأنه منسوخ بالمتأخر، والتوفيق هنا ممكن كما سيعلم قريبًا إن شاء الله.

– وأما القول بأن ذلك جريا على عادة العرب فلا يقصد به القسم، فذلك مدفوع بأن الله تعالى قال: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)[1] ، ثم عقب على ذلك بقوله: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[2].

أقول : الراجح من وجهة نظري أن يقال: إن لله تعالى أن يقسم بما شاء ، وأما نحن فلا يجوز لنا أن نقسم إلا به سبحانه جمعا بين النصوص التي تنهى عن ذلك، وما جاء في القرآن الكريم ، على نحو ما سبق. والله أعلم

أما بالنسبة لزعم البعض أن القسم لم يرد في الكتب السابقة ، فليس بصحيح ، فمثلا ، جاء في كتبهم :

قَدْ أَقْسَمَ الرَّبُّ بِفَخْرِ يَعْقُوبَ : إِنِّي لَنْ أَنْسَى إِلَى الأَبَدِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ)[3] .

وتفسير هذه العبارة عندهم: (بجاهِ يَعقوبَ أقسمَ الرّبُّ : لا أنسى عمَلاً مِنْ أعمالِهِم إلى الأبدِ) .

قلت : وعلى هذا يكون الإله قد أقسم بيعقوب الموصوف عندهم بالسارق والغشاش والزاني ! .. لأن يعقوب سرق النبوة من أخيه "عيسو"[4] .. وغش

---

[1] – سورة الواقعة ، آية : ٧٥

[2] – سورة الواقعة ، آية : ٧٦

[3] – عاموس ٨ : ٧

[4] – سفر التكوين الإصحاح : ٢٧

خاله "لابان" في الغنم[1] كما أنه كان متزوجا بأكثر من امرأة هما "راحيل" و"ليئة" (وهما أختان !) .. ودخل على جاريتين كانتا لزوجتيه راحيل وليئة وهما "بلهة" و"زلفة"[2] فيعتبر بذلك زانيا بمقياس النصارى ؟!

وهذا من عظيم كذبهم ، وشديد افترائهم على أنبياء الله ورسله صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين.

الشبهة الرابعة :

يقولون : القسم نفسه لا يليق بجلالة الله ربنا ؛ فإن الذي يحلف على قوله يهين نفسه ، ويضعها موضعَ مَنْ لا معوَّلَ على حديثه ، وقد جاء في القرآن:(ولا تطع كل حلاف مهين) القلم ١٠ ، فجعل الحلف من الخلال المذمومة ، ونهى المسيح الحواريين عن الحلف مطلقاً ، فقال لهم :(ليكن قولكم : نعم. نعم . أو: لا . لا . ولا تحلفوا[3].

وللجواب عن هذه الشبهة أقول:

أولا : قول هؤلاء : إن الذي يحلف على قوله يهين نفسه ..إلخ قول يدل على جهل فاضح بلغة العرب الذين قد أنزل القرآن بلغتهم ، حيث ثبت بما لا شك فيه ورود القسم كثيرا في خطاباتهم ، وألف العلماء كتبا في أيمان العرب في

[1] – سفر تكوين الإصحاح ٣٠ الأعداد ٣٢–٤٣

[2] – سفر التكوين الإصحاح ٣٠ العدد : ٤. و سفر التكوين الإصحاح ٣ الأعداد ٩–١٠

[3] – إنجيل متى ٥ :٣٧. دار الكتاب المقدس – مصر

الجاهلية[1] ، فهل خفي على هؤلاء الأعلام من عرب الجاهلية أنهم بهذا القسم قد وضعوا أنفسهم موضع الهوان ، ثم لم ينتبهوا إلى ذلك حتى جاء هؤلاء الذين لا صلة لهم بالعربية وآدابها فانتبهوا إلى ذلك؟

ثانيا : ثم إنه لم ينقل إلينا ولو من طريق ضعيف عن أحد ممن يعتد بعلمه ومكانته في علوم اللغة العربية أن الحالف قد أهان نفسه بالحلف ، ثم كيف يقدم العربي وهو المشهور بالأنفة ، والاعتزاز بالنفس على أسلوب يعلم أن فيه ما فيه من إهانة نفسه ؟

أقول : هل خفي على سادة اللغة ، وأئمة البيان كل ما قد سبق حتى اكتشفه هؤلاء الأقزام الذين لا يستطيعون أن يتحدثوا باللغة العربية لدقائق بدون لحن فاضح ، رغم طول سنوات دراستهم لها ؟.

ثالثا : زعمهم أن المقسم قد أهان نفسه بمجرد القسم أمر غير معقول جملة وتفصيلا ، ولو كان ذلك مما يعلم آنئذ لما خفي على سادة العرب من القرشيين وغيرهم ، ولأقاموا الدنيا وما أقعدوا تشنيعا على القرآن الكريم لاشتماله على مثل هذا النوع من الأسلوب في التعبير ، فلما لم يثبت ذلك تقرر تسليمهم بجمال وروعة هذا الأسلوب ، وهو المطلوب.

[1] – مثلا كتاب : أيمان العرب في الجاهلية لأبي إسحاق النجيرمي

رابعا : من المسلمات أنه ليس كل ما ينطبق على البشر ينطبق على الإله، فمثلا عندما وجه الله نصحه وأمره لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بألا يطيع الحلّاف ووصفه أنه كاذب، فبالتأكيد كان يقصد البشر لأن تعاملنا مع البشر لا مع آلهة.

خامسا : ثم ما مقياس وصف الله بالحلّاف ليدخله هؤلاء مع فئة الحلّافين؟ هل وجود حوالي مائة آية تنطوي على أسلوب قسم من أكثر من ستة آلاف آية يعد حلفانًا كثيراً؟ اللهم لا.

سادسا : بالنسبة للآية الكريمة التي استندوا إليها أعني قوله تعالى:(وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)[1] ، فلا تخدم دعواهم ، بل هي حجة عليهم ، فإن كانوا لا يعلمون ذلك فتلك مصيبة ، وإن كانوا يعلمون فالمصيبة أعظم ، ولو أنهم كلفوا أنفسهم قليل جهد في البحث عن سبب نزول الآية ، وأقوال المفسرين في شرحها لما طفحت ألسنتهم بقبيح جهلهم ، وعظيم عداءهم للحق ، لدرجة أنهم يحاولون بشتى الطرق وبكافة الأساليب دفع الحق وإبطاله حتى ولو بالكذب والتدليس والتلاعب بالحقائق ، كما هو واضح من شبهتهم هذه وغيرها، وعلى أية حال فالآية الكريمة نهي عن طاعة من كان كثير الحلف في الحق والباطل، وقيل : إنها في أشخاص بعينهم . يقول ابن أبي حاتم :

[1] سورة القلم ، آية : ١٠

عن السدي في قوله: (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ) . قال: نزلت في الأخنس بن شريق .عن مجاهد في قوله: (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ) .قال: هو الأسود بن عبد يغوث[1] حتى لو قلنا : إن الآية عامة ، فإن المقصود منها النهي عن نوع خاص من الحلف ، ألا وهو الحلف كذبا وزورا ، أو النهي عن كثرة الحلف لسبب ولغير سبب لما فيه من ذهاب هيبة المقسم به ومثل هذا النوع من القسم يتنزه عنه التنزيل الحكيم. يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى :

ولا تطع يا محمد كل ذي إكثار للحلف بالباطل؛ {مهين} : وهو الضعيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذاب، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه[2]

على أنه لا مانع من أن تكون الآية الكريمة متضمنة صفتين :

الأولى : حلاف

الثانية : مهين .

يقول الدكتور /محمد سيد طنطاوي رحمه الله:

[1] – تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٦٤

[2] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري ٢٣/ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

والآيات الكريمة يشمل النهى فيها كل من هذه صفاته، ويدخل فيها الوليد بن المغيرة، والأخنس بن شريق.. دخولا أوليا.

أي: ولا تطع- أيها الرسول الكريم- كل من كان كثير الحلف بالباطل، وكل من كان مهينا أي: حقيرا ذليلا وضيعا. من المهانة، وهي القلة في الرأي والتمييز[١]..

وبهذا تبين لنا جهل القوم بلغة العرب وأساليبها وفنونها ، وأيضا ظهر لنا مدى ما عليه البعض من بغض وعداء لدين الله عزوجل رغم وضوح الحق ، وجلاء الحقيقة ، لكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

[١] – الكتاب: التفسير الوسيط للقرآن الكريم فضيلة الدكتور: محمد سيد طنطاوي ١٥/٤٤ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨

الخاتمة

النتائج والمقترحات:

- أن القسم أسلوب بليغ من أعظم أساليب القرآن بلاغة ، وروعة وبيانا.

- أن القسم في القرآن له أهداف ومقاصد كلفت الأنظار إلى عظمة المخلوقات توصلا إلى عظمة من خلقها.

- وقد يكون الغرض من القسم بث الهيبة والرهبة في نفوس المخاطبين.

- وأيضا ، فإن الداعي للقسم إقامة الحجة على المنكرين والمكذبين.

- ومن البحث أيضا يتبين لنا ضرورة الاهتمام بدراسة مزيد من أساليب القرآن.

- وأيضا ، فإن هذه الدراسات اللغوية ذات الصلة الوثيقة بالقرآن لها دور عظيم في الرد على المستشرقين وغيرهم، لذا يجب مواصلة دراسة مثل هذه الموضوعات. والله الموفق.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٧ م.

٣- أحكام القرآن، عماد الدين ابن الطبري المعروف بالكياالهراسي، تحقيق: موسى محمد علي، ود. عزت عطية، نشر: دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٧٤ م.

٤- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد علي البجاوي ،دار المعرفة، بيروت.

٦- أحكام القرآن، لأبي عبد الله الشافعي، جمع: أبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥ م.

٧- الأدب المفرد، لأبي عبد الله البخاري المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٨ هـ.

٨- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار القبلة، جدة- الرياض ١٩٨٤ م.

٩- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٩٨٥ م.

١٠- إملاء ما من به الرحمن، لأبي البقاء العكبري، مصورة: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ م.

١١- الأنساب، لأبي سعد السمعاني، نشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند ١٩٦٢ - ١٩٨٢ م.

١٢- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة، بيروت.

١٣- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، نشر: المكتب الإسلامي، دار الإشراق، بيروت ١٩٨٩ م.

١٤- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٩٨١ م.

١٥- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، نشر: وزارة الإرشاد الإعلام، الكويت ١٩٦٥ - ١٩٨٤ م.

١٦- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، دار الطباعة المحمدية، مصر ١٩٦٨ م.

١٧- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥ م.

١٨- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤ م. م.

١٩- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصورة: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.

٢٠- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٩٧٠ م.

٢١- تفسير الماوردي النكت والعيون. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان بدون تاريخ.

٢٢- تفسير النسائي، (جزء من السنن الكبرى)، تحقيق: سيد الجليمي، وصبري الشافعي، مكتبة السنة، القاهرة ١٩٩٠ م.

٢٣- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد، حلب ١٩٨٨

٢٤- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: أوتو برتزل، جمعية المستشرقين الألمانية، استانبول ١٩٣٠ م مكتبة المثنى، بغداد.

٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٨ م.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، مصورة: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ م.

٢٧- الجامع، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨ م.

٢٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣ م.

٢٩- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م.

٣٠- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ١٩٦٤ م.

٣١- السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م.

٣٢- السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق ١٩٨٠ م.

٣٣- السنة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: سالم بن أحمد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨ م.

٣٤ - السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، دار المعرفة ببيروت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٥٥ هـ.

٣٥- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١ م.

٣٦- السنن، لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦ م

٣٧- السنن، لأبي داود السجستاني، تحقيق: عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص ١٩٧٤ م.

٣٨- السنن، لأبي عبد الرحمن النسائي، اعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦ م.

٣٩- السنن، لأبي عبد الله بن ماجة، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨

٤٠- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤ م.

٤١- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠ م.

٤٢- الصحيح، لأبي بكر بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٩ م.

٤٣- الصحيح، لأبي عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق- بيروت ١٩٨١ م.

٤٤- الصحيح، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٤٥- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت عن طبعة محب الدين الخطيب.

٤٧- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة ١٩٩٧ م.

٤٨- الكشاف عن حقائق التنزيل، لجار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت

٤٩- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٧٩ م.

٥٠- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٥١- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.

٥٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.

٥٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي، تحقيق: الرحالي الفاروقي وآخرين، دولة قطر ١٩٧٧ م.

٥٤- مختصر تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، تتمة وتعليق: محمد أحمد كنعان، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ١٩٨٤ م.

٥٥- المراسيل لأبي داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨ م.

٥٦- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، دار المعرفة، بيروت.

٥٧- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٠ م).

٥٨- مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ - ١٩٩٦ م.

٥٩- المسند لأبي داود الطيالسي، دار الكتاب اللبناني- دار التوفيق، بيروت، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند.

٦٠- المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، مصورة المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٨ م، ونشرة الشيخ أحمد محمد شاكر (أنبه عليها في مواضعها)، ونشرة مؤسسة الرسالة بتحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعته، (والعزو إليها يتميز بأرقام الأحاديث).

٦١- المسند، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٤ - ١٩٨٨ م.

٦٢- المصاحف لأبي بكر بن أبي داود السجستاني، تحقيق: د. آثر جفري، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٦ م.

٦٣- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني وغيره، الدار السلفية، بومباي، الهند ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م

٦٤- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، باكستان- الهند ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م.

٦٥- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض ١٩٩٧ م.

٦٦- المعجم الأوسط لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٩٨٥ - ١٩٩٥ م.

٦٧- المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٦ م.

٦٨- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر: وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٧٨ - ١٩٨٣ م.

٦٩- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨١ م.

٧٠- المغني، لأبي محمد بن قدامة المقدسي، نشر: مكتبة الرياض

٧١- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٠ م.

٧٢- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد عبد الله دراز، دار الباز، عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٧٣- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، رواية: يحيى الليثي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦ م.

٧٤- الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٨ م.

٧٥- الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، نشر: مكتبة الرشد، الرياض ١٩٩٠ م.

٧٦- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت.

٧٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٦٩ م.

٧٨- نكت الانتصار لنقل القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١ م.

٧٩- نواسخ القرآن، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٩٨٤ م.

٨٠- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: صفوت عدنان داودي، دار القلم، دمشق- الدار الشامية، بيروت ١٩٩٥ م.

٨١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤ م.

وهناك مراجع أخرى تعلم من خلال مطالعة البحث.

فهرس

المحتويات

الملخص: ٥٥٤
المقدمة ٥٥٨
المطلب الأول: ٥٦٠
تعريف القسم ٥٦٠
تعريف القسم اصطلاحا: ٥٦٣
الفرق بين القسم والحلف: ٥٦٤
أركان القسم: ٥٦٦
الركن الأول : أعني المقْسِم ٥٦٧
الركن الثاني : المقْسَم به : ٥٦٧
الركن الثالث : جواب القسم أو المقسم عليه ٥٧١
نوع الجملة في جواب القسم ٥٧٢
جملة جواب القسم. ٥٧٢
الركن الرابع : حروف القسم ٥٧٥
المطلب الثاني: ٥٧٨
القضايا التي ورد القسم عليها ٥٧٨
القسم المبدوء ب(لا) والفعل : ٥٨١
أنواع القسم: ٥٨٦
القسم والشرط: ٥٨٧
بلاغة القسم ٥٩٥
بلاغة القسم القرآني ٥٩٦
المطلب الثالث: ٥٩٩
شبهات مردودة حول القسم ٥٩٩
الشبهة الأولى ٥٩٩
الشبهة الثانية ٦٠٣
الشبهة الثالثة : ٦٠٥
الشبهة الرابعة : ٦١٢

الخاتمة ٦١٧
النتائج والمقترحات: ٦١٧
المراجع ٦١٨
فهرس ٦٢٧